

والواقع أن الشافعي كان منعطفًا كبيراً في تاريخ الإسلام الفقهى. لكن يكفيه أن يكون هو ذلك العالم المسلم الذى شغل الدنيا، ولا يزال يشغلها حتى الآن. ويكفى أن نقول هنا: إن أقوال الشافعي وآراءه فى كتبه القديمة والجديدة، فى العراق ومصر، وفى غيرها، صارت متنازعة آراؤها، واختلف العلماء فيها، بل اختلفت فيها الترميمات والتصحيحات.

والذى يمكن أن يقال إن مذهب الشافعي انتشر أكثر من مذهب الأئمة الثلاثة الآخرين فى كثير من بلاد الإسلام وهذا إن دل على شىء، فإنما يدل على عظمة ما جاء به الشافعي. إن مذهب الشافعي بعد مقامه فى مصر وتبلوره، انتشر فى العراق، وبلاد خراسان، والشام، واليمن، وبلاد ما وراء النهر، وفارس، والحجاز، والهند. كما تسرب إلى بعض بلاد شمال أفريقيا. ثم، وكما يقول الشيخ محمد أبو زهرة، انتشر فى الأندلس بعد عام ٣٠٠هـ. وهذا الرأى الأخير استقاه الشيخ أبو زهرة نقلاً عن كتاب «الفوائد البهية».

ويؤكد ذلك ما يقوله ابن خلدون فى مقدمته: «أما الشافعي فمقلدوه بمصر أكثر من سواها». وقد انتشر مذهبه بالعراق وخراسان وما وراء النهر. وقاسموا الحنفية فى الفتوى والتدريس فى جميع الأمصار وعظمت مجال المناظرات بينهم، وجاء فى طبقات ابن السبكي عن مصر والشام بالنسبة لمذهب الشافعي: «هذان الإقليمان مركز ملك الشافعية منذ ظهر مذهب الشافعي. اليد العالية لأصحابه فى هذه البلاد لا يكون القضاء والخطابة فى غيرهم».

وقد ظلت مصر، منذ القرن الثالث الهجرى، مزدهراً فيها مذهب الإمام الشافعي، كما يقول ابن خلدون، حتى جاءت الدولة الفاطمية، فأبطلت العمل بالسنة على وجه العموم، وجعلت العمل على مقتضى مذهب الشيعة الإمامية. لكن ما إن جاء الأيوبيون حتى رجع إلى مصر فقه الشافعي. ولما خلفت دولة المماليك البحرية، دولة الأيوبيين، لم تنقص المذهب الشافعي خطوة واحدة. فقد كان سلاطينها من الشافعيين باستثناء سيف الدين قطز الذى كان حنفياً، وإن كان